

قصة انشقاق القمر

دراسة حديثة فقهية لمرويات انشقاق القمر وبيان
تعارضها مع آيات الكتاب

كتبه

أحمد فوزي وجيه

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

فالإيمان بالمعجزات فرع من الإيمان بالله تعالى وقدرته سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. وإنكار المعجزات بالكلية يتعارض مع نصوص القرآن الكريم وذكر معجزات الأنبياء فيها, فالمعجزات من دلائل النبوة ودلائل الإيمان. ولكن ليس معناه الإيمان بكل ما ورد في التراث من غير الثبوت من صحته وتحقق حدوثه, فالإيمان بالمعجزات ثابت في الإسلام, والإيمان بكرامات الأولياء أمر غير مستبعد ولا اعتراض عليه, والله يختص بفضله من يشاء سبحانه. ولكن الشأن في الثبوت من وقوعها قبل الإيمان بها وإلا صار الإيمان بالمعجزات باباً للإيمان بالخرافات وهذا ليس مراد الشرع بالتأكيد .

ومن هذه قصة انشقاق القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة. وهي قصة يؤمن بها عامة المسلمين ويؤكدونها جمهور علمائهم عبر القرون, والقصة بتفاصيلها لم تذكر في القرآن الكريم مع أنها شيء عظيم جليل القدر لا تقل في المنزلة وعظيم القدرة عن ناقة صالح وعصا موسى وقد تكرر ذكرهما في القرآن مراراً, أما هذه الآية الباهرة فلم يأت ذكرها في القرآن اللهم إلا في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقد تنازع العلماء في تفسيرها ومعناها وهل المراد بها هذه القصة أم أنها من علامات يوم القيامة وسيأتي بيانه .

أما القصة وفحواها فقد رواها جمع من الصحابة في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنة المشهورة، وقد جهدت في تحقيق هذه المرويات عن ورد عنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعرفة أصل القصة وحقيقتها والله الموفق .

أحاديث انشقاق القمر:

1- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا. (1) متفق عليه وهو ثابت عن عبد الله بن مسعود من غير وجه. وفي رواية عند مسلم قال: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنَى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ فَكَانَتْ فِلْقَةً وَرَاءَ الْجَبَلِ وَفِلْقَةً دُونَهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشْهَدُوا .

1 رواه البخاري (206/4) ومسلم (2158/4) وأحمد (60/6) والترمذي (251/5) وغيرهم من طريق أبي معمر عبد الله بن سخرية الأزدي عن ابن مسعود وعند البخاري تعليقا (3869) والاعتقاد للبيهقي (ص269) ودلائل النبوة لابي نعيم (280/1) والطبري (567/22) باسناد صحيح من طريق أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود وفيه: فَقَالَ كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ أَنْظَرُوا السُّفَّارَ فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ قَالَ: فَسُئِلَ السُّفَّارُ وَقَدِمُوا مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَقَالُوا: رَأَيْنَا وفي تفسير عبد الرزاق (259/3) والطبري (567/22) من طريق سماك بن حرب عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود وفي دلائل النبوة لابي نعيم (279/1) عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود، وفي تفسير الطبري (567/22) باسناد صحيح إلى ابن سيرين قال: نبئت أن ابن مسعود كان يقول: قد انشق القمر .

وفيه التصريح من ابن مسعود بحضوره وشهوده الحادثة .
وعن ابن مسعود قال: حَمَسُ قَدْ مَضَيْنَ الزَّامَ وَالرُّومَ وَالْبَطْشَةَ وَالْقَمَرَ
وَالدُّخَانَ. رواه البخاري (4820) ومسلم (2798)

2- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن القمر انشق على زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم . متفق عليه (2)

وعن عكرمة مولى ابن عباس قال: كَسَفَ الْقَمَرَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا سِحْرَ الْقَمَرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } إِلَى { مُسْتَمِرٌّ }. مصنف عبد الرزاق (104/3)
باسناد صحيح إلى عكرمة مرسلًا ولا يصح مرفوعاً (3)

2 رواه البخاري (49/5) ومسلم (2159/4) والحاكم (513/2) وغيرهم من
طريق عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس.
وعند الطبري في التفسير (568/22) باسناد صحيح عن علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس قال: انشق القمر قبل الهجرة أو قال: قد مضى ذلك .
وفي دلائل النبوة لابي نعيم (280/1) عن الضحاك عن ابن عباس قال: جاءت
أخبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن فسال
النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل أن يريهم آية فأراهم القمر قد انشق فصار
قمرين أحدهما على الصفا والآخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل
ينظرون إليهما ثم غاب القمر فقالوا: هذا سحر مستمر . وفيه بشر بن الحسين وهو
متهم بالكذب والرواية بذكر اليهود منكرة. أما ما رواه أبو نعيم في الدلائل (279/1)
عن ابن عباس أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقاً فشق
القمر لنا فرقتين. فهو حديث موضوع وفيه موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني
يضع الحديث (لسان الميزان 210/8)

3 رواه مرفوعاً الطبراني (250/11) عن عكرمة عن ابن عباس ولا يصح ففي
اسناده محمد بن بكر البرساني وهو صدوق يخطئ ورفعته إلى ابن عباس خطأ, ثم
في هذه الرواية المرفوعة عن ابن جريج عن عمرو بالعننة وابن جريج مدلس,
بخلاف رواية عبد الرزاق عن عكرمة فقد صرح فيها ابن جريج بالسماع قال:
أخبرني عمرو بن دينار. وذكر الطبراني متابعة لابن جريج من طريق إبراهيم بن

3- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: انشق القمر فرقتين.

رواه البخاري (142/6) ومسلم (2159/4) وغيرهم من طرق عن قتادة عن أنس .

4- عن ابن عمر قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا. رواه مسلم (2801) وأبو داود الطيالسي (408/3) والطبري (567/22) وابن حبان (421/14) وغيرهم باسناد صحيح وصححه الألباني في التعليقات الحسان (226/9) (4) .

يزيد عن عمرو بن دينار وإبراهيم متروك فهي متابعة ساقطة. ورواه نعيم بن حماد في الفتن (603/2) عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة بلفظ (انشق) ونعيم بن حماد ضعيف. وفي جزء سعدان بن نصر (ص23) عن ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة بلفظ (انشق) ورواية عبد الرزاق عن ابن جريج أعلى وأوثق. فأصح المرويات هنا هي رواية الامام عبد الرزاق الصنعاني عن عكرمة من قوله بلفظ (كَسَفَ الْقَمَرُ).

وقد حاول الامام ابن كثير بعد أن صحح الرواية عن ابن عباس الجمع بينها وبين ما صح عن ابن عباس في ذكر انشقاق القمر، ولا حاجة للجمع هنا مع بيان ضعف الرواية عن ابن عباس، والصحيح أنها من رواية عكرمة مرسله وهي وإن كانت لا تصح مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنها من كلام عكرمة وتفسيره للآية والله أعلم .

4 قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: وأورد الحاكم من الشواهد حديث عبد الله بن عمرو أخرجه 472/2 من طريق أبي داود الطيالسي عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمرو وهذا وهم وقع أيضاً عند الذهبي في "التلخيص" والصواب: عن ابن عمر كما هو عند الطيالسي في "مسنده" برقم 1891 ، وكذلك هو عند مسلم كما ذكرنا آنفاً. هـ (مسند أحمد 62/6) وبعضهم ضعف الحديث عن ابن عمر أيضاً بزعم أن شعبة أخطأ في اسم الصحابي وصوابه عن أبي معمر عن ابن مسعود. وهذا احتمال والجزم به يحتاج إلى دليل وقد يكون لمجاهد فيه اسنادان والأصل قبول خبر الامام الحافظ، والراوي قد يكون عنده الحديث من غير وجه وعن غير صحابي لاسيما إن كان هذا الراوي من بحور العلم والرواية كشعبة والأعمش ومجاهد. وتكلم البعض في عننة الأعمش وقد صرح بالسماع عند أبي نعيم في

5- عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت حذيفة يوم الجمعة وهو

على المنبر قرأ اقتربت الساعة وانشق القمر فقال: قد اقتربت الساعة

وقد انشق القمر فاليوم المضمار وغدا السباق . اسناده صحيح⁽⁵⁾

6- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انشق القمر ونحن مع

رسول الله عليه السلام. ضعيف منكر⁽⁶⁾

7- عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة

على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا

يستطيع أن يسحر الناس كلهم . رواه أحمد (314/27) والترمذي

دلائل النبوة (208) ثم هو من رواية شعبة عنه وشعبة من أميز الناس لمرويات الأعمش وما سمعه. فالحديث اسناده صحيح إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

5 رواه عبد الرزاق في مصنفه (193/3) وابن أبي شيبة (139/7) والطبري (568/22) وأبي داود في الزهد (ص246) والحاكم (651/4) والطحاوي في مشكل الآثار (181/2) وغيرهم باسناد صحيح من طريق جمع من الرواة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي وعطاء قد اختلط إلا من سمع منه قديماً كشعبة وسفيان بن عيينة فسماعهم صحيح (تهذيب الكمال 92/20) وهم من الرواة عن عطاء في هذا الأثر, وصححه الألباني موقوفاً كما في الضعيفة (479/10) .

6 رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (177/2) وفيه حديد بن معاوية الجعفي تفرد به وهو ضعيف قال ابن حبان: مُنكر الحديث كثير الوهم على قلة روايته (المجروحين 271/1)

(251/5) وابن حبان (422/14) والحاكم (513/2) والبخاري (357/8)
والطبراني (132/2) والطبري (568/22) وغيرهم باسناد ضعيف معلول (7)

7 فيه علة قاذحة نبه عليها النقاد من أهل العلم فقد سئل الامام الدارقطني عن حديث محمد بن جبير عن أبيه أنه قال: انشق القمر ونحن بمكة مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: يرويه حصين بن عبد الرحمن واختلف عنه فرواه أبو كدينة ومفضل بن مهلهل، وأبو جعفر الرازي وورقاء عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده. وكذلك قال أحمد بن بديل عن ابن فضيل عن حصين. وخالفه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو سعيد الأشج فروياه عن ابن فضيل عن حصين عن محمد بن جبير عن أبيه. وقول من قال عن جبير بن محمد عن أبيه عن جده أشبهه. (علل الدارقطني 418/13) وكذا قال الذهبي في تاريخ الاسلام (211/1) وقال البزار بعد ذكر رواية أبي جعفر الرازي عن حصين عن جبير بن محمد: وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رُوِيَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَرُوِيَ عَنْ غَيْرِ جُبَيْرٍ بغيرِ هَذَا اللَّفْظِ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهُ لِأَنَّهُمْ اختلفُوا عَنْ حُصَيْنٍ وَقَدْ تَابَعَ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ طَهْمَانَ عَلَى رِوَايَتِهِ وَتَوْصِيلِهِ. (البحر الزخار 358/8) وقال مقبل الوداعي: إذا نظرت إلى سند هذا الحديث فهو محتمل للحسن وقد رواه ابن حبان وعنده متابعة محمد ابن فضيل بن غزوان لسليمان بن كثير فيرتقي الحديث في ظاهره إلى الصحة ولكن الحديث رواه الحاكم (ج2ص472) من طريق هشيم عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده وهشيم أثبت من سفیان وشعبة في حصين قاله يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي كما في تهذيب التهذيب. وقال أبو داود قال أحمد ليس أحد أصح حديثاً عن حصين من هشيم كما في تهذيب التهذيب أيضاً. وفيه اختلاف آخر ففي تحفة الأشراف عن المزي رحمه الله رواه محمد بن فضيل عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن جبير عن أبيه. اهـ وذكر الحافظ هذا الإختلاف في النكت الظراف ثم قال: ولولا هذا الإختلاف لكان الحديث على شرط الصحيح. اهـ والظاهر أن الإختلاف من حصين بن عبد الرحمن فإنه كان قد تغير والله أعلم. هـ (أحاديث معلة ظاهرها الصحة برقم 104)

وضعه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند (16750) وقال: جبير بن محمد بن جبير بن مطعم مجهول وهو كما قال، وقد صححه الألباني جرياً على ظاهر إسناده والصواب مع من ضعفه لما فيه من علة قاذحة نبه إليها العلماء النقاد كما بينته والحمد لله .

ومع ضعف إسناده فالمتن فيه نكارة ومخالفة لما في الصحيحين وغيرهما عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} ، أَمْ

هذه هي مرويات القصة ومن رواها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويُستفاد من التخريجات السابقة فوائد:

1- القصة لا يصح نقلها إلا عن أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم وهم: عبد الله بن مسعود - عبد الله بن عمر بن الخطاب -

عبد الله بن عباس ورابعهم أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين .

2- جُلَّ هؤلاء الرواة من صغار الصحابة الذين لم يشهدوا القصة ولم

يروها بأنفسهم ومنهم من لم يكن قد ولد بعد .

3- عبد الله بن مسعود هو الصحابي الوحيد الذي صحت عنه الرواية في

حضوره للحادثة.

4- لا يصح عن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

رأى هذه الحادثة أو شهداها أو نقل عنه ذلك باسناد صحيح إلا عبد الله

بن مسعود فهو أصل القصة ومصدرها وعنه نقلها صغار الصحابة كأَنس

وابن عمر وابن عباس .

خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ , أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ {
قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِي. (المتن بتمامه من
مجموع طرقه كما في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد 324/21)

وقصة انشقاق القمر كانت في مكة قبل يوم بدر, فدل الحديث على نكارة الرواية عن

جبير, فلو رأى انشقاق القمر لأمن أو كان ذلك أول ما وقر من الايمان في قلبه

ولذا ذكرها كما ذكر قصته مع الآيات من سورة الطور والله أعلم .

5- بيان خطأ من زعم النقل المتواتر للقصة فهي لا تصح إلا عن أربعة من الصحابة وهذا ابتداءً عدد لا يبلغ حد التواتر, وثانياً أن حقيقة رواية هؤلاء تعود لواحد منهم هو الذي نقلها ومنه أخذ الباكون. فحقيقة القصة أنها خبرٌ واحدٍ لا غير. والجزم بالتواتر لا بد فيه من ثبوت التواتر في كل طبقة من طبقات الاسناد, وطبقة الصحابة أهمها وأعلاها .

وقد قال ابن كثير في السيرة النبوية (2/114): وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. ثم ذكر أحاديث الباب التي أوردتها هنا وقال في آخرها: فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها. هـ

وها أنا قد ذكرت لك طرقها ومن رواها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أوردتها ابن كثير وغيره ليحيط بها القارئ وينظر فيها ويتأملها ليعلم خطأ دعوى التواتر وبُعد الجزم بالقطع واليقين وفوق كل ذي علم عليم .

ولذلك قال الامام ابن تيمية وهو معروف بدقة العبارة وتحري الألفاظ: وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُسْتَفِيضٌ. (الجواب الصحيح 1/425) وذلك لضعف دعوى التواتر وعدم صحتها. أما دعوى الاجماع ففيها نظر كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (7/183). وقد صح عن عكرمة خلافه كما سبق وسيأتي بيانه عند ذكر أقوال المفسرين واختلافهم .

6- رواية حذيفة بن اليمان مع صحتها ليست ظاهرة الدلالة على ذكر القصة بل الظاهر منها الوعظ والترهيب بقرب مجيء الساعة وتوقع أحداثها لا في كلام عن أحداث قد حصلت تأييدا للرسول وإثباتا لنبوته لأن ذلك كان في معرض العظة والاعتبار ولم يصرح بشهود هذا أو وقوعه. فحديث حذيفة خطبة جمعة الغرض منها الوعظ وحث الناس على المسارعة في الخير وليس فيها إشارة للقصة بأحداثها أو أنها من معجزات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

تفسير قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر)

وأما الآية الكريمة وقوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) فجمهور المفسرين من السلف والخلف على أن المراد منها ما ورد في الأحاديث السابق ذكرها وأنها نزلت في حادثة انشقاق القمر، وهذه بعض أقوالهم: قال الامام الطبري: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِنَّ يَرِ الْمُشْرِكُونَ عَلَامَةً تَدُهُمْ عَلَى حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِلَالَةً تَدُهُمْ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ يُعْرَضُوا عَنْهَا فَيُؤَلُّوا مُكَذِّبِينَ بِهَا مُنْكَرِينَ أَنْ يَكُونَ حَقًّا يَقِينًا وَيَقُولُوا تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِهَا وَإِنْكَارًا لَهَا أَنْ تَكُونَ حَقًّا: هَذَا سِحْرٌ سَحَرْنَا بِهِ مُحَمَّدٌ حِينَ خَيَّلَ إِلَيْنَا أَنَّا نَرَى الْقَمَرَ مُنْفَلِقًا بِأَثْنَيْنِ بِسِحْرِهِ وَهُوَ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ يَعْنِي يَقُولُ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ذَاهِبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ مَرَّ هَذَا السِّحْرُ إِذَا ذَهَبَ وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

هـ تفسير الطبري (565/22)

وقال القرطبي: وَقَدْ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْأَحَادِ الْعُدُولِ أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ بِمَكَّةَ وَهُوَ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَسْتَوِيَ النَّاسُ فِيهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آيَةً لَيْلِيَّةً وَأَنَّهَا كَانَتْ بِاسْتِدْعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ التَّحْدِي . هـ (تفسير القرطبي 126/17)

وقال الثعلبي: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ دُنْتُ الْقِيَامَةِ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ مَجَازَهَا: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ حَذِيفَةَ (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَقَدْ انْشَقَّ الْقَمَرُ) (8) وَرَوَى عِثْمَانُ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ مَعْنَاهُ (وَسَيَنْشَقُّ الْقَمَرُ) وَالْعُلَمَاءُ عَلَى خِلَافِهِ وَالْأَخْبَارُ الصَّحَاحُ نَاطِقَةٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ مَضَتْ . هـ (تفسير الثعلبي 160/9)

وقال نظام الدين النيسابوري: فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْكُفَّارَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةَ فَانْشَقَّ الْقَمَرُ مَرَّتَيْنِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ انْفَلَقَ فَلَاقَتَيْنِ فَلَقَةٌ ذَهَبَتْ وَفَلَاقَةٌ بَقِيَتْ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَأَيْتُ حِرَاءَ بَيْنَ فَلَاقَتِي الْقَمَرِ. وَعَنْ حَذِيفَةَ أَنَّهُ خَطَبَ بِالْمَدَائِنِ ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّ السَّاعَةَ قَدْ اقْتَرَبَتْ وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدْ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْمُرَادَ سَيَنْشَقُّ الْقَمَرُ وَصِيغَةُ الْمَاضِي عَلَى عَادَةِ إِخْبَارِ اللَّهِ وَذَلِكَ أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ أَمْرٌ عَظِيمٌ الْوَقْعُ فِي النَفُوسِ فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ وَقُوعَهُ حَدَّ التَّوَاتُرِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَأَجِيبُ

8 وقراءة حذيفة من وجوه القراءات الشاذة كما قال ابن جني في المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (297/2). ولعله مأخوذ من خطبة حذيفة بالمدائن فقال: قد اقتربت الساعة وقد انشق القمر. وسبق نقله وبيان المراد منه والله أعلم .

بأن الناقلين لعلهم اكتفوا بإعجاز القرآن عن تشهير سائر المعجزات
بحيث يبلغ التواتر . ه تفسير النيسابوري (216/6)

وقال ابن السمعاني: فَإِنْ قِيلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمْ يَكُنْ رَأَى انْشِقَاقَ الْقَمَرِ
فَكَيْفَ تَصِحُّ رِوَايَتُهُ؟ وَأَمَّا ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَدْ تَفَرَّدَ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ وَلَوْ كَانَ قَدْ
انْشَقَّ الْقَمَرُ لَرَوَاهُ جَمِيعُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَيْضًا لَوْ كَانَ ثَابِتًا لَرَوَاهُ
جَمِيعُ النَّاسِ وَلَأَرخُوا لَهُ تَارِيخًا لِأَنَّهُمْ قَدْ أَرخُوا مَا دُونَ هَذَا مِنَ الْحَوَادِثِ
وَإِنَّمَا مَعْنَى الْآيَةِ انْشِقَّ الْقَمَرُ أَي: يَنْشِقُ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَيُقَالُ: مَعْنَى
انْشَقَّ الْقَمَرُ أَي: انْكَسَفَ.

وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ بِالرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ. رَوَاهُ ابْنُ
مَسْعُودٍ وَجَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ شَهِدَا بِالرُّؤْيَةِ، وَرَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عَمْرٍو وَأَنَسُ
وَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضِهِمْ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو⁽⁹⁾ وَمَنْ الْمُحْتَمَلُ أَنَّهُ
رَوَى عَنِ رُؤْيَةٍ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَوَى هَذَا عَنِ رُؤْيَتِهِ وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ
أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَكَانَ ذَلِكَ اتِّفَاقًا مِنْهُمْ ثُمَّ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى ثُبُوتِهِ
الْآيَةِ .

وَقَوْلُهُ إِنْ مَعْنَاهُ سَيْنَشِقُ الْقَمَرِ. قُلْنَا: هَذَا عَدُولٌ عَنِ ظَاهِرِ الْآيَةِ وَلَا يَجُوزُ
إِلَّا بِدَلِيلٍ قَاطِعٍ وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ

9 كذا قال وصوابه عبد الله بن عمر بن الخطاب كما بينته في تخريج الأحاديث وهو
لم يشهد الحادثة. وجبير بن مطعم لا تصح الرواية إليه فلا يصح الاعتداد به هنا
كشاهد عيان، فالأمر في حقيقته وأصله يدور على عبد الله بن مسعود ونعم قد تفرد
بهذه الرواية .

مُسْتَمِرٌّ { وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْهَا وَلِأَنَّهُ سَمَّاهُ آيَةً وَإِنَّمَا يَكُونُ آيَةً إِذَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ الْآيَةَ هَاهُنَا بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ وَالْعِبْرَةِ. وَقَوْلُهُ: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَرَوْا. قُلْنَا: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَانِ غَفَلَةِ النَّاسِ أَوْ تَسْتَرِ عَنْهُمْ بَغِيمٌ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الشَّمْسَ لِيُوشِعَ بَنَ نُونٍ وَلَمْ يَنْقُلْ أَرْخَ لِذَلِكَ أَيْضًا. وَقَدْ ذَكَرَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَالُوا سَحَرْنَا ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ سَلُوا السَّفَارَ الَّذِينَ يَقْدُمُونَ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ سَحَرْنَا فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْحَرَ جَمِيعَ النَّاسِ فَقَدِمَ السَّفَارَ وَسَأَلُوهُمْ وَأَخْبَرُوا أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا. هـ تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ (307/5)

وقال الحافظ ابن حجر: ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ وَانْشَقَّ الْقَمَرَ أَيَّ سَيَنْشَقُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى أَتَى أَمْرَ اللَّهِ أَيَّ سَيَأْتِي وَالتُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ إِرَادَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي تَحَقُّقِ وَقُوعِ ذَلِكَ فَنَزَلَ مَنْزِلَةَ الْوَأَقِعِ وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَصَحُّ كَمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ وَحَدِيثُهُ وَغَيْرُهُمَا وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ فَإِنَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ وَانْشَقَّ الْقَمَرَ وَقُوعُ انْشِقَاقِهِ لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ إِتِمَامٌ هُوَ فِي الدُّنْيَا تَبَيَّنَ وَقُوعُ الْإِنْشِقَاقِ وَأَنَّهُ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا سِحْرٌ وَوَقَعَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ قَبْلُ. هـ (فتح الباري (186/7)

وذهب بعض المفسرين أن تفسير قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) هو من علامات يوم القيامة وليس المراد منه حادثة انشقاق القمر التي جاءت في الآثار المروية عن الصحابة الكرام .
نقل ذلك عنهم القرطبي فقال: وَقَالَ قَوْمٌ لَمْ يَقَعِ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ بَعْدُ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ أَيِ اقْتَرَبَ قِيَامُ السَّاعَةِ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ وَأَنَّ السَّاعَةَ إِذَا قَامَتْ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ. وَكَذَا قَالَ الْقُشَيْرِيُّ وَذَكَرَ الْمَاورِدِيُّ أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَقَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا انْشَقَّ مَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا رَأَهُ لِأَنَّهُ آيَةٌ وَالنَّاسُ فِي الْآيَاتِ سَوَاءٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ فَإِذَا جَاءَتْ انْشَقَّ الْقَمَرُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ. وَقِيلَ (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) أَيِ وَضَحَ الْأَمْرُ وَظَهَرَ وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِالْقَمَرِ مَثَلًا فِيمَا وَضَحَ . هـ (تفسير القرطبي 126/17)

وقال بيان الحق الغزنوي: قال الحسن أي ينشق. فجاء على صيغة الماضي وهي للمستقبل إما لتحقيق أمره ووجوب وقوعه أو لتقارب وقته أو لأن المعنى مفهوم أنه في المستقبل فلا يلتبس وعلى هذا نظائر هذا القول كقوله (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم) وقوله (ونادى أصحاب الجنة) وغيرهما. قال الحطيئة: شهد الحطيئة يوم يلقي ربه ... أن الوليد أحق بالعدر. والذي يدل على هذا القول أنه لو انشق لما بقي أحد إلا رآه. وقال القاضي الماوردي وهذا على طريق الاستعارة والمثل لوضوح الأمر كما يقال في الأمثال: الليل طويل وأنت مقمر. هـ

(باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن - أول سورة القمر)
وقال أحمد مصطفى المراغي: والذي يدل على أن هذا إخبار عن حدث
مستقبل لا عن انشقاق ماض أمور:

(1) إن الإخبار بالانشقاق أتى إثر الكلام على قرب مجيء الساعة،
والظاهر تجانس الخبرين وأنها خبران عن مستقبل لا عن ماض.

(2) إن انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامة التي لو حصلت
لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم وبلغ حدا لا
يمكن أحدا أن ينكره وصار من المحسوسات التي لا تدفع ولصار من
المعجزات التي لا يسع مسلما ولا غيره إنكارها.

(3) ما ادعى أحد من المسلمين إلا من شذ أن هذه معجزة بلغت حد
التواتر ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادا بل كانوا لا يعدّون
كثرة.

(4) إن حذيفة بن اليمان وهو ذلكم الصحابي الجليل خطب الناس يوم
الجمعة في المدائن حين فتح الله فارس فقال: ألا إن لله تبارك وتعالى
يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر ألا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن
القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار
وغدا السباق ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة. فهذا
الكلام من حذيفة في معرض قرب مجيء الساعة وتوقع أحداثها لا في
كلام عن أحداث قد حصلت تأييدا للرسول وإثباتا لنبوته لأن ذلك
كان في معرض العظة والاعتبار.

وبعد أن ذكر قرب مجيء الساعة وكان ذلك مما يستدعى انتباههم من غفلتهم والتفكير في مصيرهم والنظر فيما جاءهم به الرسول من الأدلة المثبتة لنبوته والمؤيدة لصدقه لكنهم مع كل هذا ما التفتوا إلى الداعي لهم إلى الرشاد والهادي لهم إلى سواء السبيل بل أعرضوا وتولوا مستكبرين كما قال: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) أي وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوتك وترشدهم إلى صدق ما جئت به من عند ربك يعرضوا عنها ويولوا مكذبين بها منكبين أن يكون ذلك حقا ويقولوا تكذبا منهم بها: هذا سحر سحرنا به محمد وهو يفعل ذلك على مرّ الأيام. وفي هذا إيماء إلى ترادف الآيات وتتابع المعجزات. ه

تفسير المراغي (77/27)

وقال السيد محمد رشيد رضا: وقد زعم الآلوسي وغيره أن قوله تعالى {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} حجة على أن المراد بالآية انشقاق القمر ولو كان كذلك لقال: فأعرضوا وقالوا سحر مستمر، وأما الشرط فللاستقبال أو لبيان الشأن ولا علاقة بين انشقاق القمر ودعوى النبوة فيكون آية عليها ولفظ الآية يُطلق في القرآن على كل ما يدل على وجود الله ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته وقدرته ورحمته وحكمته وعلى ما يؤيد به رسله وأكثر ما يذكر فيه الإعراض عن الآيات في القرآن يُراد به هذه الدلائل أو آيات القرآن، كقوله تعالى في النوع الأول {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}

وقوله في النوع الثاني {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} وأما قولهم {سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} فأول ما قالوه في القرآن وهو ما حكاه عنهم في سورة المدثر {إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ} وهي ثالث سورة نزلت بمكة أو الرابعة على القول بأن الفاتحة أول ما نزل وفي معناها آية سبأ {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَدَحِقَ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} وآية الزخرف: {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ} وإنك لترى أوائل سورة الأنبياء بمعنى أوائل سورة القمر وهي {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}.

وقال رحمه الله: العلماء الذين تساهلوا بقبول روايات انشقاق القمر وجعلها آية كونية حسية جعلت حجة على كفار مكة عندما اقترحوها وتمحلوا في الأجوبة عن الاعتراضات العقلية الأصولية عليها فجاءوا بما لا يقبله العاقل المستقل إنما حملهم على ذلك حب تكثير المعجزات النبوية كما تقدم وتفنيدها منكرها لأن العوام يفهمون من إعجازها ما لا يفهمون من إعجاز القرآن وقد تغيرت الحال في هذا الزمان الذي كثر فيه استقلال الفكر ورفض التقليد في أكثر المتعلمين فصارت هذه الروايات تعد طعنًا في علم المسلمين وعلمائهم ويخشى أن تعد طعنًا في الإسلام نفسه، والحق أنها ليست من أصول الإسلام ولا من فروعها فأصول العقائد الإسلامية لا تثبت إلا بدليل قطعي وهذا أمر مجمع عليه

بين المسلمين والدليل القطعي إما عقلي وإما نقلي والنقلي هو النص القطعي الدلالة عن الله ورسوله والآية ليست قطعية الدلالة على كون الانشقاق هو صيرورة القمر فلقتين منفصلة إحداهما عن الأخرى كما اعترف بذلك الذين فسروها بذلك وآخريهم الألوسي وقد بينا نحن أن دلالتها على ما ذكر مرجوحة فما كانت لتخطر على بال أحد لولا تلك

الرواية المنقوضة بنص القرآن والحديث المرفوع المتفق عليه وسائر

الروايات ليس فيها شيء يصلح لتفسير الآية به إلا من وجه بعيد لا يعد نصًا ولا ظاهرًا فيه، وهو عد انشقاق القمر من علامات قرب الساعة بالتبع للآيات في انشقاق السماء وانفطار الكواكب أو الدخول في عموم الثاني إذ لم يذكر القمر في آيات الساعة إلا في قوله تعالى: {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ* وَخَسَفَ الْقَمَرُ* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}... إلخ . هـ (مجلة المنار 30/361)

وقال الامام الطاهر بن عاشور رحمه الله:

وَجُمُهِورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ شَاهِدَةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ
بظُهُورِ آيَةٍ كُبْرَى وَمُعْجَزَةٍ مِنْ مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ
مُعْجَزَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ.

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَجَامِعِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَأَلَ
أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ

القمر. زاد الترمذي عنه فانشق القمر بمكة فرقتين فنزلت: اقتربت الساعة وانشق القمر إلى قوله: سحر مستمر.

ثم قال: وظاهر بعض الروايات لحديث ابن مسعود عند الترمذي أن الآية نزلت قبل حصول انشقاق القمر الواقع بمكة لما سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم آية أو سألوه انشقاق القمر فأراهم انشقاق القمر وإنما هو انشقاق يحصل عند حلول الساعة. ورؤي هذا عن الحسن وعطاء وهو المعبر عنه بالخسوف في سورة القيامة (فإذا برق البصر وخسف القمر) الآية. وهذا لا ينافي وقوع انشقاق القمر الذي سأله المشركون ولكنه غير المراد في هذه الآية لكنه مؤول بما في روايته عند غير الترمذي. ولحديث أنس بن مالك أن الآية نزلت بعد انشقاق القمر. وعلى جميع تلك الروايات فانشقاق القمر الذي هو معجزة حصل في الدنيا. وفي البخاري عن ابن مسعود أنه قال: خمس قد مضين اللزائم والرؤم والبطشة والقمر والدخان. وعن الحسن وعطاء أن انشقاق القمر يكون عند القيامة واختاره القشيري ورؤي عن البلخي. وقال الماوردي هو قول الجمهور، ولا يعرف ذلك للجمهور.. ثم قال في قوله (وإن يروا آية): يجوز أن يكون تذييلاً للإخبار بانشقاق القمر فيكون المراد بآية في قوله: وإن يروا آية القمر... ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً من ذكر أحوال تكذيبهم ومكابرتهم وعلى كلا الوجهين فإن وقوع آية وهو نكرة في سياق الشرط يفيد العموم. وجيء بهذا الخبر في صورة الشرط للدلالة على أن هذا ديدهم ودأبهم. وضمير يروا عائد

إِلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ فِي الْكَلَامِ دَالٌّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ كَمَا جَاءَ فِي
مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّ قِصَّةَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَطَعْنِهِمْ فِيهَا مَشْهُورٌ
يَوْمَئِذٍ مَعْرُوفَةٌ أَصْحَابُهُ فَهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَيْهِ كُلَّمَا رَأَوْا آيَةً عَلَى صِدْقِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هـ التحرير والتنوير (172-168-167/27)

وما ذهب إليه الامام من الفصل بين الأحاديث في حدوث معجزة
انشقاق القمر وتفسير الآية الكريمة بأن ذلك من علامات القيامة له
وجه قوي لاسيما وأن هذا التفسير هو المؤيد من الآيات الأخرى كمثل
قوله تعالى (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ) وهي بنفس المعنى والمراد
يوم القيامة .

إلا أن ما ذكره فيه ملاحظتان:

أولاً: قوله أن الآية نزلت قبل الحادثة وعزاه لبعض طرق الحديث فهذا
غير صحيح بل جاء الربط بين الآية وحادثة الانشقاق صريحاً في بعض
طرق حديث أنس عند أبي يعلى الموصلي (307/5) : عن أنس في قوله
اقتربت الساعة وانشق القمر قال: قد انشق زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم. واسناده صحيح وفي تفسير عبد الرزاق (259/3) عن ابن
مسعود كذلك .

ثانياً: أثبت الشيخ حادثة انشقاق القمر بعيداً عن الآية وإنما من أجل
الأحاديث المشهورة المستفيضة عن الصحابة كما هي عبارته في موضع
آخر. وقد سبق بيانه أن القصة على التحقيق أصلها رواية عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه .

والخلاصة مما سبق أن قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) اختلف في معناها المفسرون والراجح أن هذا من علامات الساعة كما في قوله تعالى (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ) ونحوها من الآيات التي تتكلم عن علامات الساعة السماوية والكونية كما نبه على ذلك من نقلنا عنهم من أهل العلم والتفسير. وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا. وقوله تعالى بعدها (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً) ليست صريحة الدلالة على أن ما قبلها آية وقعت, بل تأتي أيضاً للاستقبال أو لبيان الشأن وتكون الجملة مستأنفة من ذكر أحوال المشركين وتكذيبهم ومكابرتهم كما في قوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)

(وكثير من المفسرين ما صرفهم عن هذا التفسير إلا اغترارهم بكثرة الروايات في كون الانشقاق كان آية معجزة اقترحها الكفار فأجيبوا إليها، ومنشأ ذلك توهم التواتر وعدم التحقق من كون الحديث من أخبار الآحاد ولم يبلغ حد التواتر، وكونه مع هذا معارضاً بنصوص القرآن القطعية وما يؤيدها من الأحاديث المسندة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كون آيته التي جعلها الله تعالى حجة نبوته وأمره بالتحدي بها في جملتها تارة وبعشر سور مثله وبسورة من مثله وبالاحتجاج ببعض ما اشتملت عليه تارات أخرى هي القرآن وحده،

وما كان صلى الله عليه وسلم يرجو بهذا أن يكون أكثر الأنبياء تابعاً يوم
القيامة إلا لأن هذه الآية أعظم وأظهر وأبهر وأقهر من كل آيات
الأنبياء إجمالاً وتفصيلاً وأشدّ جذباً إلى الإيمان [ما بين القوسين من مجلة
المنار (361/30) بتصرف في بعض الجمل]

أما عن مرويات قصة انشقاق القمر في عهد رسول الله فقد صح
إسنادها عن جمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم
يبلغ حد التواتر كما زعم بعضهم بل الظاهر أن القصة مصدرها عبد الله
بن مسعود ومنه أخذوا, فإن ابن عمر وابن عباس وأنساً من صغار
الصحابة لم يشهدوا القصة, فحتماً نقلوها عن شهدائها ولا يُعرف هذا
إلا عن ابن مسعود رضي الله عنه. فالقصة في أصلها من باب خبر
الواحد, وخبر الواحد مقبول ومعمول به إلا إن خالف ما هو أقوى منه
كما تقرر عند علماء الأصول أن خبر الواحد ما لم يبلغ حد التواتر لا
يعمل به إذا تعارض مع أصل قطعي فلا يعارض الظن القطع فكيف إذا
خالف مجموعة من الأخبار والنصوص القرآنية القطعية المتواترة والتي
تنفي حدوث مثل هذه الآيات والمعجزات الكونية العامة في حق النبوة
الخاتمة بخلاف ما كان عليه الأمر عند الأنبياء السابقين .
فالمشركون في مكة كانوا يطالبون الرسول بالآيات الكونية فلا يجيبهم الله
إلى ما طلبوا والآيات في هذا الباب كثيرة:
قال الله عزوجل:

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } (الرعد 7) { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ } (الرعد 27)
{ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه. أولم تأتئهم بينة ما في الصحف الأولى }
(طه 133)

{ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون } (الأنعام 37)
{ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين } (يونس 20)
{ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (البقرة 118)

{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } (7) { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } (8) { (الأنعام)

وأقوى من هذا وأصرح قوله تعالى:

{ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ } (50) { أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (51) { قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (52) { (العنكبوت)

كذلك قوله تعالى {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل الآيات إلا تخويفاً} (الإسراء 59)

وعن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فقيل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: لا بل أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة}. رواه أحمد (2333) وغيره وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (3388)

ومثلها كثير من النصوص التي تدل على أن الله لم ينزل على المشركين ما طلبوه من الآيات، بل رد عليهم طلبهم ونبههم إلى أن آيات الكتاب كافية في إيمانهم إن كانوا صادقين .

وهذه الآيات الكثيرة قد نزلت في مواضع متفرقة وأوقات متغيرة مما يدل على تكرار الطلب من المشركين وإلحاحهم في سؤال وطلب الآيات وفي كل مرة ينزل القرآن بعدم إجابتهم إلى ما طلبوا وهذا يعطيك دلالة واضحة قوية أن المنهج القرآني وخطة رب العالمين في النبوة الخاتمة أن ليس هناك آيات كونية عامة يراها الناس ليؤمنوا به على خلاف ما كان

مع السابقين من الأنبياء والمرسلين. (10) وأن الآية الباهرة في النبوة الخاتمة هي الحجة والبرهان بآيات القرآن. وقد نصَّ على هذا الغرض والقصد صريحاً في القرآن والسنة الصحيحة في قوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

قال الامام الطبري: يقول تعالى ذكره: أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد القائلين: لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه، من الآيات والحجج (أنا أنزلنا عليك) هذا (الكتاب يُتلى عليهم) يقول: يُقرأ عليهم (إن في ذلك لرحمة) يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكري يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة. (11)

10 وأما معجزات النبي الكريم كخروج الماء من بين أصابعه وبركة الطعام وغير ذلك من الكرامات فنؤمن بها وليس الكلام فيها. كذا ما اختصه الله بحمايته ممن يريد قتله أو حادثة الاسراء وهي من أكبر المعجزات والكرامات وليست من الآيات فإن المشركين لم يروها وإنما حكاها لهم النبي الكريم. فالكلام هنا على الآيات الكونية العامة التي يراها الناس للدلالة على النبوة وتصديقاً للرسول.

11 وقد ورد في سبب نزول الآية عن يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال: كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم. فنزلت (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون). الطبري (53/20) والمراسيل

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه البخاري (4981) ومسلم (239)

وهذا الحديث متأخر بلا شك فأبو هريرة ممن تأخر إسلامه وقصة انشقاق القمر كانت في مكة. فدل ذلك على أن الأمر على ما هو عليه من عدم الارسال. كذلك قوله (وما منعنا أن نرسل بالآيات) الامتناع هنا يتنافى مع الحدوث. وفي سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم خيّر بين نزول الآيات أو أن يستأني بهم قال لا بل أستأني بهم فكيف يُقال بعد ذلك بنزول الآيات!؟

وقد زعم بعضهم أن الامتناع عن إرسال الآيات ليست على عمومها وإنما هي الآيات التي طلبها المشركون بعد ذلك في قوله تعالى (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلَهُةٍ مِنَ السَّمَاءِ وَتَكُونَ مِنَ السَّمَاءِ أَسْفِلًا فَتَكُونَ كَالْبُقْعَاتِ فِي السَّمَاءِ (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)

لابي داود (ص321) وغيرهما وهو مرسل لا يصح رفعه انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب (47/3) والسلسلة الضعيفة (5865)

فمثل هذه الآيات بأعيانها هي الممتنعة أما انشقاق القمر فلم يطلبوه بعينه فلا يمتنع. وهذا تأويل بعيد وتخصيص لعموم الآية بغير دليل. والربط بين الآية وبين آيات أخرى تأتي بعد ذلك في سياق آخر إن صح فهذه الآيات طلبها المشركون كأمثلة في طلبهم رؤية الآيات المادية والكونية وليست مطالب حصرية لا يريدون غيرها ولو كان أعظم منها! هذا بلا شك فهم خاطئ .

وقد ذكر الله قولهم في غير موضع (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) على العموم من غير تعيين لآيات بعينها كما يزعم من يتكلف التأويل. ومما يؤكد بطلان هذا الكلام إضافة إلى ما ذكرت الحديث الصحيح في سبب نزول الآية وفيه مطلب آخر غير المذكور في الآيات (سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا وَأَنْ يُنْحِيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ فَيَزْرَعُوا) وهي مطالب أخرى فالأمر ليس خاصاً بما طلبوه في الآيات كما زعموا، بل المراد طلب المشركين لآية مادية عظيمة باهرة يرونها ويتحققوا منها بأنفسهم .

فالآية على عمومها في نفي حدوث الآيات الكونية المادية التي يراها عموم الخلق كما كان لبعض الأنبياء من قبل وقد جاءت الآيات بذلك في غير موضع وكذلك في الأحاديث كما نقلته وبينته والحمد لله .

وقال آخرون: الجمع بين الآية وأحاديث معجزة الانشقاق أن الآيات التي لم يرسلها الله تعالى هي التي طلبها المشركون من رسول الله صلى الله

عليه وسلم فلا يُجابون إلى ما طلبوه من آيات هذه أو غيرها . وهذا في
البطلان كسابقه ولا فرق, وقد جاء في بعض طرق الحديث في صحيح
البخاري (4867) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ
انْشِقَاقَ الْقَمَرِ .

فكيف يُجابوا إلى ما طلبوا والآية صريحة في المنع!؟

وقال آخرون: إن المقصود في الآيات إذا كذَّبوا بالآية المعينة التي طلبوها
أما إذا لم يطلبوا آية معينة وإنما طلبوا جنس الآيات كانشقاق القمر فهو
آية عظيمة من آيات الله لكن المشركين لم يطلبوها بعينها بل طلبوا من
النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم القمر شقين كما ثبت ذلك في
الأحاديث الصحيحة. فليس في الأحاديث أن المشركين طلبوا من النبي
صلى الله عليه وسلم أن يشق لهم القمر شقين بل سألوا آية غير معينة! .
وهذا باطل أيضاً وهو من جنس ما سبق, وأي فرق في طلب المشركين
للآيات بالابهام أو بالتعيين ! وإنما هو محاولة الخروج من مأزق التعارض
على غرار عنزة ولو طارت! وسبق نقل الآيات القطعية الدلالة أن
الكفار طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بآية من الآيات الكونية التي
أوتي مثلها الرسل على الإبهام من غير تعيين مرات ومرات فلم يجابوا إلى
طلبهم .

وفرعون أهلكه الله وأغرقه هو وجنوده وصار في هلاكه آية وعبرة للعالمين
وإنما قال لموسى (فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ولم يُعَيِّن آية... إلى
غير ذلك من التأويلات المتكلفة لمحاولة صرف الآية عن ظاهرها ودلالاتها
بغير دليل. مع أن الله يقول لما طلب المشركون من نبينا الآيات (أَوَلَمْ
يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) فهذا جواب رباني على من يطلب الآيات الكونية أنا قد
أنزلنا إليكم كتاباً فيه الآيات والبينات على صدق نبينا وصدق رسالته
فلا تحتاجون لغيرها كما كان من قبلكم. ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم: مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ
الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

وقد تتبعت محاولة بعض العلماء للتوفيق والجمع بين الآيات المذكورة
وحدوث انشقاق القمر -وقد نقلت أجمعها وأشهرها- وكلها تأويلات
متكلفة وفيها تعسف ظاهر وليس عليها أي دليل يؤيده السمع أو النظر
الصحيح، وحققتها إبطالاً لدلالة الآيات الواضحات في امتناع حدوث
الآيات الكونية العامة يراها الناس. والترجيح هو المتعين لاحتمال الخطأ
والوهم من الراوي لاسيما والحادثة عظيمة والتواتر فيها متعين لقبولها
وهو غير موجود فكيف لم ينقلها العامة ولم يذكرها شاعر ولم يسلم

عِنْدَهَا كَافِرٌ وَتَعَارُضُ حَدُوثِهَا مَعَ نِصُوصِ الشَّرْعِ ظَاهِرٌ وَعِنْدَ التَّعَارُضِ

فَالتَّرْجِيحُ هُوَ الْمُتَعَيِّنُ كَمَا بَيَّنْتَهُ

وَرَدَ خَبْرُ الْوَاحِدِ إِذَا تَعَارَضَ مَعَ الْمُتَوَاتِرِ الْقَطْعِيِّ هُوَ مِنْ طَرَائِقِ أَهْلِ الْعِلْمِ
فِي الْحُكْمِ عَلَى الْمَرْوِيَّاتِ كَمَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ الْأُصُولِ .

قَالَ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ: وَأَمَّا الثَّلَاثُ: وَهُوَ الظَّنُّ الْمُعَارِضُ لِأَصْلِ قَطْعِيٍّ
وَلَا يَشْهَدُ لَهُ أَصْلٌ قَطْعِيٌّ فَمَرْدُودٌ بِلَا إِشْكَالٍ وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ
أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُخَالَفٌ لِأُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمُخَالَفٌ أُصُولَهَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ
لَيْسَ مِنْهَا وَمَا لَيْسَ مِنَ الشَّرِيعَةِ كَيْفَ يُعَدُّ مِنْهَا ؟

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَا يَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ وَمَا هُوَ كَذَلِكَ سَاقِطٌ لِإِعْتِبَارِ وَقْدِ
مَثَلُوا هَذَا الْقِسْمَ فِي الْمُنَاسِبِ الْغَرِيبِ بِمَنْ أَفْتَى بِإِجَابِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ
إِبْتِدَاءً عَلَى مَنْ ظَاهَرَ مِنْ أَمْرَاتِهِ وَلَمْ يَأْتِ الصِّيَامُ فِي الظَّهَارِ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدْ
رَقَبَةً.

وَهَذَا الْقِسْمُ عَلَى ضَرِيحَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ مُخَالَفَتُهُ لِأَصْلِ قَطْعِيَّةٍ فَلَا
بُدَّ مِنْ رَدِّهِ. وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ ظَنِّيَّةً إِمَّا بِأَنْ يَتَطَرَّقَ الظَّنُّ مِنْ جِهَةِ
الدَّلِيلِ الظَّنِّيِّ وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ كَوْنِ الْأَصْلِ لَمْ يَتَحَقَّقْ كَوْنُهُ قَطْعِيًّا وَفِي هَذَا
الْمَوْضِعِ مَجَالٌ لِلْمُجْتَهِدِينَ وَلَكِنَّ الثَّابِتَ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ مُخَالَفَةَ الظَّنِّيِّ
لِأَصْلِ قَطْعِيٍّ يُسْقِطُ إِعْتِبَارَ الظَّنِّيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَهُوَ مِمَّا لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَلِلْمَسْأَلَةِ أَصْلٌ فِي السَّلَفِ الصَّالِحِ فَقَدْ رَدَّتْ عَائِشَةُ
حَدِيثَ إِنَّ الْأَمِيَّةَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهَا عَلَيْهِ بِهَذَا الْأَصْلِ نَفْسَهُ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى { أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } وَرَدَّتْ

حَدِيثَ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَبِّهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} وَإِنْ كَانَ عِنْدَ غَيْرِهَا غَيْرَ مَرْدُودٍ لِاسْتِنَادِهِ إِلَى أَصْلِ آخَرَ لَا يُنَاقِضُ الْآيَةَ وَهُوَ ثُبُوتُ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ بِأَدْلَةٍ قُرْآنِيَّةٍ وَسُنِّيَّةٍ تَبْلُغُ الْقَطْعَ وَلَا فَرْقَ فِي صِحَّةِ الرُّؤْيَةِ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَرَدَّتْ هِيَ وَابْنُ عَبَّاسٍ خَبَرَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي غَسْلِ الْيَدَيْنِ قَبْلَ إِدْخَالِهِمَا فِي الْإِنَاءِ اسْتِنَادًا إِلَى أَصْلِ مَقْطُوعٍ بِهِ وَهُوَ رَفْعُ الْحَرْجِ وَمَا لَا طَاقَةَ بِهِ عَنِ الدِّينِ فَلِذَلِكَ قَالَا فَكَيْفَ يَصْنَعُ بِالْمَهْرَاسِ؟

وَرَدَّتْ أَيْضًا خَبَرَ ابْنِ عُمَرَ فِي الشُّؤْمِ وَقَالَتْ: إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْ أَقْوَالِ الْجَاهِلِيَّةِ لِمُعَارَضَتِهِ الْأَصْلَ الْقَطْعِيَّ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَأَنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا طَيْرَةٌ وَلَا عَدْوَى. إِلَى أَنْ قَالَ: وَفِي الشَّرِيعَةِ مِنْ هَذَا كَثِيرٌ جِدًّا وَفِي اعْتِبَارِ السَّلَفِ لَهُ نَقْلٌ كَثِيرٌ. وَلَقَدْ اعْتَمَدَهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ لِصِحَّتِهِ فِي الْإِعْتِبَارِ.

هـ (الموافقات 185/3 وما بعدها)

وهذا الأصل معروف عند أهل العلم ومما لا يُختلف فيه كما قال الشاطبي وإنما اختلفوا في تطبيقه على النصوص المتعارضة والمختلفة كل بحسب فهمه واجتهاده .

وقد حاول البعض قديماً وحديثاً تأييداً لوقوع القصة ودفعاً لاعتراضات من يقول: فَكَيْفَ لَمْ تَعْرِفْ بِذَلِكَ الْعَامَّةُ وَلَمْ يُؤَرَّخِ النَّاسُ بِذَلِكَ الْعَامِ وَلَمْ

يَذْكُرُهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يُسَلِّمْ عِنْدَهُ كَافِرٌ وَلَمْ يَحْتَجِّ بِهٖ مُسَلِّمٌ عَلٰى مُلْحِدٍ؟⁽¹²⁾
زعموا أن الهنود قد عرفوا ذلك وسجلوه في تراثهم وعلى أبنيتهم.
واعتمدوا في ذلك على أخبار مجهولة وقصص لم يُتحقق من مصدرها
المباشر وإنما جاء ذكرها بعد قرون !

قال رحمة الله الهندي: وفي المقالة الحادية عشر من تاريخ "فرشته" أن
أهل مليبار من إقليم الهند رأوه أيضاً، وأسلم والي تلك الديار التي كانت
من مجوس الهند بعد ما تحقق له هذا الأمر. وقد نقل الحافظ المزني عن
ابن تيمية⁽¹³⁾ أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناءً قديماً
مكتوباً عليه: "بني ليلة انشق القمر". ه اظهر الحق (1039/4)
قلت: تاريخ فرشته من تأليف محمد قاسم هندوشاه استرآبادي (ت
بعد 1033 هـ)، وهو باحث مسلم متأخر والكتاب مطبوع باللغة الفارسية
وما ينقلونه عن بعض المسافرين رواية مجهولة لا تفيد في العلم شيء
فهذه ونحوها حكايات وأخبار يتناقلها البعض بلا إسناد ولا تحقق،
ولعلها من وضع بعض الهنود قديماً لتأكيد القصة في أذهان الناس كما
فعل بعض الصالحين في تعمد الكذب ووضع الأحاديث على لسان

12 وهذه اعتراضات قوية ولها أهميتها. فما الفائدة من حدوث هذه الآية العظيمة ولم
يُسلم بسببها أحد، وهذا ما جاء في الرواية قالوا سحرنا محمد. فهل هذه الآية
العظيمة التي لو رآها الناس لآمن معظمهم أو كثير منهم أو بعضهم على أقل تقدير
لا يأتي من ورائها إيمان وإسلام ولو لواحد منهم لا غير! وتخيل نفسك من أحدهم
فماذا كنت فاعلاً لو رأيتها؟ أليس هذا من دواعي التشكيك في القصة وحدثها أن
ليس ولو نفرأ واحداً يدخل الإسلام بسببها ويقول أنا أسلمت يوم انشق القمر!
13 ولم أره لابن تيمية وإنما ذكره ابن كثير تلميذ ابن تيمية في البداية والنهاية
(120/3) بصيغة التمريض (ويقال) !

رسول الله صلى الله عليه وسلم لترغيب الناس في أفعال الخير والعبادة
زعموا !

ومثله ما يفعله بعض المعاصرين من الزعم أن حضارة المايا قد رأت هذا
الانشقاق وسجلته في رموزها وتراثها ويعزرون ذلك لمقال على أحد
المواقع الأجنبية التاريخية المتخصصة في حضارة المايا !
وهكذا للأسف بني جلدتنا عندما يرون المصدر من المراجع الأجنبية أو
اسم الكاتب باحدى اللغات الأوروبية يصدقون بلا تردد ويؤمنون بلا
بحث أو تحقق, وهذا من عقدة نقص الثقافة التي نعاني منها في مجتمعاتنا
للأسف .

مع أن الموقع نفسه الذي ينقلون منه هذه المعلومات قد حذف هذا
المقال لعدم دقته وتقديمه معلومات زائفة للقراء وليس حقداً على
الاسلام كما يدعون, فبطلان هذه الدعوى ظاهرة للعيان وأبسط دليل
على بطلانها أن حضارة المايا هذه كانت في أمريكا الوسطى (المكسيك
والسلفادور وما حولهما) وهذه البلاد في النصف الآخر من الكرة الأرضية
واختلاف التوقيت فيها واضح ظاهر .

فالشمس تشرق عندنا في بلاد العرب وهي تغرب عندهم في الجهة
الأخرى, والليل والقمر يكون في جانبنا وفي الجانب الآخر عندهم
الشمس في رابعة النهار فكيف يشاهدون القمر إذا انشق عند العرب
وهم في نفس الوقت على الجانب الآخر في وضوح النهار؟! هذا معناه أن
القمر ظل منشقاً كما هو طيلة الليل حتى إذا أشرقت الشمس في بلاد

العرب وجن الليل أرض شعوب المايا من الناحية الأخرى ظهر لهم
منشقاُ ثم التأم ! أليس هذا من الكذب الصريح والاستخفاف بعقول
الناس ؟

هذا وأنبه من خطورة اقحام العلم الحديث ونتائجه واستكشافاته للدلالة
على حدوث هذه القصة كما يفعله الكثيرون من المشتغلين بما يسمى
بالاعجاز العلمي وأغلبهم من غير المتخصصين في العلوم أو هم
متخصصون في فن ويتكلمون في فن آخر لا يحسنوه, وللأسف يأتون
بأشياء تروج على الجهال ويضحك منها المتخصصون .

ومحاولة التفسير العلمي للمعجزات والحوارق أراها والله أعلم يعترئها
القصور فإنما سُميت حوارق لأنها تخرق المعتاد في الطبيعة بقدره الله تعالى,
وقد حاول ويحاول في ذلك بعض المعاصرين والله أعلم بصحة ما ذهبوا
إليه .

وختاماً فمرويات قصة انشقاق القمر هي من حكاية عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه نقلها عنه بعض الصحابة ولم تبلغ حد التواتر ولم يتابعه
على روايتها أحدٌ حضرها أو شهدها وهي تخالف نصوص الكتاب
والسنة القطعية الصريحة بامتناع نزول الآيات الكونية العامة على النبي
الخاتم وإنما الآية الكبرى في الكتاب والوحي المبين. وقد ذكرت في مقدمة
البحث أن الحادثة لو وقعت فهي معجزة عظيمة لا تقل شأناً عن معجزة

ناقة صالح وعصا موسى وقد تكرر ذكرهما في القرآن صراحة بخلاف هذه فلم تُذكر صراحة في القرآن بل ما ذكر في القرآن صراحة هو نفي حدوث مثلها كما سبق بيانه على التفصيل والحمد لله .
وقد ذهبت المعتزلة إلى تكذيب الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود واتهامه في روايته. وهذه من الجرأة والغرور وقلة الدين والورع, وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ اتِّهَامِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُرُوجِ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ . وإنما هو الخطأ والوهم ولا عصمة في هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الموفق والهادي .

والحمد لله رب العالمين

كتبه أحمد فوزي وجيه

(لا يجوز النقل والاقتباس إلا بذكر المصدر)